الدرس (٠٠٤) من شرح رياض الصالحين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلا نزال في باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية، وهو الباب الأول من كتاب رياض الصالحين لأبي زكريا النووي رحمه الله تعالى.

نعم

قال المصنف أبو زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله تعالى:

٧- (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ صَخْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَامِكُمْ، وَلَا إِلَى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**» رواه مسلم[1]).

في هذا الحديث أنَّ الأجسام والصُّور ليست محلًّا للثَّواب والعقاب، فكون الإنسان - مثلًا- طويلًا أو قصيرًا، أو أحمر أو أسود، أو سمينًا أو نحيلًا، أو غير ذلك؛ هذه كلُّها ليست محلَّ الثَّواب والعقاب، وإنَّما النَّظر الَّذِي هو محلُّ الثَّواب والعقاب القلوب والأعمال، فالعبرة بما يقوم بالقلب من أعمال صالحة وإخلاص وصدق ومحبَّة ورجاء؛ فيثاب عليها، أو أعمال سيِّئة من غلٍّ وحقدٍ وغير ذلك؛ فيعاقب عليها، وكذلك أعمال الجوارح.

وفي الحديث دلالة على أهمِّيَّة العناية بالقلب؛ لأنَّ القلب محلُّ النَّظر، والثَّواب والعقاب، فيجب على العبد أن يعنى بقلبه وإصلاحه، والقلب هو الأساس، وسيأتي لاحقًا

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤).

حديث النَّبِيِّ ﷺ: «**أَلَا إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»(٢).

وقد قال النَّبِيَّ ﷺ قال: «**التَّقْوَى هَاهُنَا**»؛ وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(٣).

فالقلب هو الأساس، فإذا استقام على تقوى الله حقًّا وصدقًا؛ استقامت الجوارح كلُّها عملًا بطاعة الله وطلبًا لنيل رضاه جلَّ في علاه، ففي المسند عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ**»(٤). وحقيقة استقامة القلب: أنْ يكونَ معمورًا بمحبَّةِ الله، ومحبَّة طاعته، وكراهة معصيته.

قال الحسن البصري رحمه الله لرجل: «داوِ قلبكَ؛ فإنَّ حاجة الله إلى العباد صلاحُ قلوبهم»(٥)، أي: أنَّ مرادَه -سبحانه- منهم ومطلوبَه صلاحُ قلوبهم، ولا صلاحَ للقلوب حتَّى تستقرَّ فيها معرفةُ اللهِ وعظمتُه ومحبَّتُه وخشيتُهُ ومهابتُه ورجاؤهُ والتَّوكُّلُ عليهِ، وأن تمتلئَ مِنْ ذَلِكَ. نعم

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٨- (وَعَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٦)).

هذا الحديث من الأحاديث الَّتِي تتعلَّق بالإخلاص وإصلاح النِّيَّة، وأنَّ ذلك يترتَّب عليه قبول العمل والإثابة عليه؛ فإنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ سُئِل عن الرَّجل يقاتل شجاعةً، أي: حتَّى

---

(٢) رواه البخاريُّ (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤).

(٤) رواه أحمد في المسند (١٣٠٤٨).

(٥) انظر: إحياء علوم الدِّين (٣/ ٣٣٩).

(٦) رواه البخاريُّ (١٢٣)، ومسلم (١٩٠٤).

يقال عنه شجاع، والرَّجل يقاتل حميةً، أي: عصبيةً، وحميةً ونصرةً لقومه، ولو كانوا على ضلال أو على باطل، والرَّجل يقاتل رياءً، أي: من أجل مراءاة النَّاس، وإظهار نفسه.

أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ» فبيَّن عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنَّ سبيل الله واحد، وهو ما قُصد به وجه الله.

فهؤلاء يشتركون من حيث صورة العمل، فصورة العمل واحدة، كلُّها قتال، وكلُّها ملاقاة للأعداء، لكن الَّذِي يُثاب ويُتقبَّل منه عمله مَن كان مخلصًا للَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يبتغي بعمله وجه الله.

قال المصنف رحمه الله تعالى:

٩- (وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ نُفَيْعِ بْنِ الْحَارِثِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٧)).

هذا الحديث أيضًا له تعلُّق بالإخلاص والنِّيَّة، وأثرها على العمل، وقد تقدَّم قول النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» فهذا المقتول الَّذِي أخبر النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّه في النَّار، مع أنَّه مقتول وليس قاتلًا، والسَّبب في ذلك: أنَّه كان حريصًا على قتل صاحبه، أي: كان ناويًا قتل صاحبه ومصممًا على ذلك، وعمل السَّبب لأن يقتل صاحبه، لكن صاحبه سبقه إلى القتل، فكان هو وإيَّاه في النَّار.

فهذا فيه التَّنبيه على أنَّ الأمور معتبرة بالنِّيَّات، «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟» أي: هذا القاتل، واضح أمره أنَّه في النَّار لأنَّه قاتل، فما بال المقتول؟ أي: لماذا المقتول صار معه ومثله في النَّار؟ قال: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا -والحرص مكانه القلب- عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ» فلـمَّا كان بـهذه الصِّفة: قام بقلبه حرص ونيَّة وعزم على أن يقتل صاحبه، لكنَّه لـم يتمكَّن، وبذل السَّبب، وسبقه صاحبه فقتله، فكانا جميعًا في النَّار، القاتل والمقتول.

---

(٧) رواه البخاريُّ (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

قال المصنف رحمه الله تعالى:

١٠ - (وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَى صَلَاتِهِ [فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ][٨] بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ، مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ».

مُتَّفَقٌ عليه[٩]، وهذا لفظ مسلم).

وقوله ﷺ: «يَنْهَزُهُ» هُوَ بِفَتْحِ اليَاءِ والْهَاءِ وبالزَّايِ: أَيْ يُخْرِجُهُ ويُنْهِضُهُ.

هذا الحديث مشتمل على مكانة الإخلاص والنِّيَّة؛ لأنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال: «ثُمَّ أَتَى الْمَسْجِدَ، لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ» ثمَّ ذكر الثَّواب المُترَتِّب على ذلك، وهذا الأجر مقيَّدٌ بهذا القيد، وهو الإخلاص: «إِلَّا الصَّلَاةُ» أي: ليس له غرضٌ آخر، وليس له نيَّة أخرى، وإنَّما خرج من بيته مُتَطَهِّرًا مُتَوَضِّئًا قاصدًا المسجد لا يريد إلَّا الصَّلاة.

فهذا فيه ثمرة النِّيَّة، وأنَّه يترتَّب عليها الأجر والثَّواب، فلو أنَّ شخصين كلاهما خرجا في وقتٍ واحدٍ من البيت، أحدهما توضَّأ وتطهَّر في بيته، ولم يخرج إلَّا بنيَّة الصَّلاة، والآخر لم يخرج من بيته مُتَطَهِّرًا وخرج لبعض مصالحه فلمَّا سمع الأذان دخل المسجد وتوضَّأ وصلَّى، الأوَّل يكتب له عمله من أوَّل ما خرج من بيته بكُلِّ خطوةٍ يخطوها، يُرْفَع له بها درجة، وتُحَطُّ بها خطيئة، حتَّى يدخل المسجد؛ لأنَّه من حين خرج من البيت، لم يخرج ولم ينهض إلَّا لأجل الصَّلاة، فيكتب له ذلك كلُّه، فهذا فيه أثر النِّيَّة، مع أنَّ الشَّخصين عملهما متقارب من حيث الحركة والمشي والمسافة الَّتِي قطعاها، لكن لـمَّا كان ذاك وُفِّق

---

(٨) هذا لفظ البخاريِّ، وأمَّا لفظ مسلم، فهو: «فِي بَيتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ».

(٩) رواه البخاريُّ (٤٦٥)، ومسلم (٦٤٩).

للنِّيَّة، والاهتمام بأمر الصَّلاة، وأنَّه لم ينهض من بيته إلَّا لأجلها، كتب له بكُلِّ خطوة يخطوها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة.

فمن فوائد الحديث: فضل تطهُّر المرء في بيته، إذا أراد أن يخرج لصلاة الجماعة، ليفوز بهذا الثَّواب الَّذِي ذكره النَّبِيُّ ﷺ في هذا الحديث، حيث قال: «**لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بها خَطِيئَةٌ حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ**».

قال المصنف رحمه الله تعالى:

١١- (وَعَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وإن هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَى عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١٠)).

هذا الحديث فيه بيان عظيم رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأنَّه جَلَّ وَعَلَا يجازي المطيع بفضله جَلَّ وَعَلَا وكرمه، ولهذا يضاعف له الأجر والثَّواب، ويجزل له الإنعام، ويجازي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المسيء بعدله جَلَّ وَعَلَا، كما قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الرُّوم:١٠].

فالمحسن يجازى بالفضل والإكرام والإنعام، والمسيء يجازى بالعدل، والمُؤَلِّف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ساق هذا الحديث؛ لأنَّ فيه بيانًا لأهمِّيَّة النِّيَّة الصَّالحة، وأنَّها توصل صاحبها إلى الأجور العظيمة، والثَّواب المضاعف، لأنَّ مَن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتِبت له حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله عشر حسناتٍ إلى سبعمائة ضعف إلى أضعافٍ كثيرة، فهذا يُبيِّن لنا مكانة النِّيَّة الصَّالحة.

وأنَّ الإنسان بمُجرَّد النِّيَّة الصَّالحة، إذا قامت في قلبه ولم يتيسَّر له العمل، كُتِب له حسنة كاملة، فإذا قام بالعمل؛ فإنَّه بإذن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تضاعف الحسنة إلى عشر أمثالها، إلى سبعمائة

---

(١٠) رواه البخاريُّ (٦١٢٦)، ومسلم (١٣١).

ضعف، إلى أضعافٍ كثيرة، وهذا فيه أنَّ التَّفاوت في الحسنات راجعٌ إلى التَّفاوت في الإخلاص والمتابعة، وكُلَّما كان الإنسان أقوى إخلاصًا وأكثر متابعةً، كان أكثر ثوابًا وأعظم أجرًا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثمَّ فيما يتعلَّق بترك المعصية، قال: «**إِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ عِنْدَهُ حَسَنَة كَامِلَة**»، هذا مقيَّد فيما إذا كان تركها لأجل الله عز وجل كما سيأتي في الحديث في قصة الرجل الذي ترك الوقوع في الفاحشة في ابنة عمه من أجل الله سبحانه وتعالى، أما إذا تركها عجزاً أو عند عدم قدرة أو مُنع من ذلك فإنه لا يُكتب له ذلك.

ومَن همَّ بالسَّيِّئة فعملها، كتبها الله سيِّئةً واحدةً؛ لأنَّ ذلك عدل من الله عز وجل، فجزاء السَّيِّئة بمثلها، وإنَّما التَّضعيف فضلٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمحسن جزاء على إحسانه، وتكريمًا له لقيامه بطاعة ربه عز وجل.

قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فتضمنت هذه النصوص كتابة الحسنات، والسيئات، والهم بالحسنة والسيئة، فهذه أربعة أنواع: النوع الأول: عمل الحسنات، فتضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فمضاعفة الحسنة بعشر أمثالها لازم لكل الحسنات، وقد دل عليه قوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام ١٦٠] [الأنعام ١٦٠]. وأما زيادة المضاعفة على العشر لمن شاء الله أن يضاعف له، فدل عليه قوله تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ [البقرة ٢٦١] [البقرة ٢٦١]، فدلت هذه الآية على أن النفقة في سبيل الله تضاعف بسبعمائة ضعف. وفي «صحيح مسلم» عن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: «جاء رجل بناقة مخطومة، فقال: يا رسول الله، هذه في سبيل الله، فقال صلى الله عليه وسلم: لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة».

النوع الثاني: عمل السيئات، فتكتب السيئة بمثلها، من غير مضاعفة، كما قال تعالى: ﴿ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون﴾ [الأنعام ١٦٠] [الأنعام ١٦٠]. وقوله: «كتبت له سيئة واحدة» إشارة إلى أنها غير مضاعفة.

النوع الثالث: الهم بالحسنات، فتكتب حسنة كاملة، وإن لم يعملها، كما في حديث ابن عباس وغيره، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي خرجه مسلم: «إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة، فأنا أكتبها له حسنة» فالظاهر أن المراد بالتحدث حديث النفس، وهو الهم، وفي حديث خريم بن فاتك: «من هم بحسنة فلم يعملها، فعلم الله منه أنه قد أشعرها قلبه، وحرص عليها، كتبت له حسنة» وهذا يدل على أن المراد بالهم هنا هو العزم المصمم الذي يوجد معه الحرص على العمل، لا مجرد الخطرة التي تخطر، ثم تنفسخ من غير عزم ولا تصميم.

النوع الرابع: الهم بالسيئات من غير عمل لها، ففي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أنها تكتب حسنة كاملة، وكذلك في حديث أبي هريرة وأنس وغيرهما: أنها تكتب حسنة، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «إنما تركها من جرائي» يعني: من أجلي. وهذا يدل على أن المراد من قدر على ما هم به من المعصية، فتركها لله تعالى، وهذا لا ريب في أنه يكتب له بذلك حسنة؛ لأن تركه للمعصية بهذا القصد عمل صالح.

نفعنا الله أجمعين بما علَّمنا، وزادنا علمـًا وتوفيقًا؛ إنه سميع قريب مجيب، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.